علم التّرجمة وعلوم المعرفية: جدليّة واعدة

Science of translation and cognition science: Promising dialectic

حنو خديجة[1]

ملخص: يعتبر علم التّرجمة حاليا مجالا متعدد التّخصصات للبحث النظري والتّطبيقي. وفي هذا الصدد ينظر للترجمة في إطار النظريّة التّأويليّة كعمليّة اتصال معقدة. وعليه تدخلت العديد من التّخصصات والعلوم في تحليل التّرجمة فاختلفت التّوجهات والآراء وهنا فتح المجال أمام علم جديد ليدخل مجال دراسة التّرجمة وهو علوم المعرفية. ومن هنا كانت الجدليّة قائمة حول العلاقة بين علم التّرجمة وعلوم المعرفيّة وأهميّة هذه الأخيرة في دراسة التّرجمة من منظور حديث يرتقي بالتّرجمة إلى أبعد الحدود. ومن خلال هذا المقال تتبين لنا أهميّة هذه العلاقة التّي تجمع العلمين معا وتبرز أهميّة كل منهما في الارتقاء بالتّرجمة.

الكلمات المفاتيح: علم التّرجمة، العلوم المعرفية، التّرجمة التّحريرية، التّرجمة الفورية، الازدواجيّة اللغوية، العلوم المعرفيّة العصبية، اللسانيات العصبية.

Abstract: Translation is currently a multidisciplinary field of theoretical and applied research. In this regard, translation is conceived in the context of hermeneutic theory as a complex communication process. Accordingly, many disciplines and sciences intervened in the analysis of translation. Hence, the dialectic was based on the relationship between the science of translation and cognitive science and the importance of the latter in the study of translation from a modern perspective that brings the translation to the extreme. Through this article we can see the importance of this relationship, which brings the two scientists together and highlight the importance of each of them in promoting translation.

Key words: Translation Science, Cognitive Science, Translation, Interpretation, Linguistic Duality, Neuro-Cognitive Science, Neuro Linguistics.

[1] معهد التّرجمة جامعة الجزائر 2، الجزائر البريد الالكترونيّ khadidja.hannou@univ-alger2.dz (المؤلف المرسل)

مقدمة: يعتبر علم التّرجمة حاليا مجالا متعدد التّخصصات للبحث النظري والتّطبيقي. وفي هذا الصدد ينظر للترجمة في إطار النظريّة التّأويليّة كعمليّة اتصال معقدة.

يجهل الكثير منا الآليات العصبيّة النفسيّة التّي تندرج ضمن النشاط التّرجمي، ولهذا كان لابد من ظهور بعض المقاربات والمحاولات للبحث في هذه العمليّة بغيّة الوصول لنتائج تجريبيّة متقاربة من خلال العمل على تقنيات نفسيّة لسانيّة وتصوير وظيفي لنشاط الدماغ. وفي هذا الصدد أيضا، تسعى أعمال أجريت حديثا حول وظيفة التّركيز والذاكرة المتعلقة بالقراءة خلال عمليّة التّرجمة إلى إبراز الدور المهم لمخزن المعلومات العرضيّة في عمليّة التّرجمة. ومن جهة أخرى يمكن أن تساهم بحوث مستقبليّة حول الآليات العصبيّة النفسيّة التّي تتخلل العمليّة التّرجميّة باستعمال تقنيّة التّصوير الوظيفي الدماغي في توضيح معارفنا حول الآليات المعرفيّة التّي تتدخل في هذه العمليّة الذهنيّة شديدة التّعقيد[1].

ـ التّوجه المعرفي في التّرجمة: تعد التّرجمة بمعنى أوسع إحدى النشاطات الأساسيّة والمشتركة في المعرفة البشرية. ويمكن أن يكون هذا الحكم نهائيا بالنسبة لمؤيدي ستاينر**Steinerr** حيث يرون أن عمليّة التّرجمة تتم في كل مرة نتلقى فيها رسالة من شخص آخر، باللغة نفسها أو بين لغات مختلفة، فالاتصال البشري يساوي التّرجمة. ومن هذا المنطلق لا توجد تبادلات اتصاليّة تحدث خارج مجال علم التّرجمة. وعليه فلا يمكن تمييز هذا التّخصص عن السيميائيّة من منظور بيرس **Peirce** .

من جهة أخرى يختار المتخصص في التّرجمة عادة أفكار أكثر تحديدا لموضوع دراسته مركزا عموما على ما يسميه جاكوبسون التّرجمة بين اللغات، بمعنى عمليّة إعادة صياغة نص في اللغة أ من خلال مصادر في اللغة ب. ويمكن التّطرق للترجمة بين اللغات حسب أورتادو ألبير(2001) من خلال خمسة توجهات مختلفة: التّوجه اللساني، التّوجه النصي، التّوجه المعرفي، التّوجه الاتصالي الاجتماعي المعرفي، التّوجه الفلسفي الهيرمينوطيقي. وكما تشرح أورتادو ألبير فإن كل حالة ترجمة بشريّة بين اللغات تشكل حدثا ثلاثيا، لأنها تفترض التّنفيذ المتزامن لحدث اتصال وعمليّة نصيّة وعمليّة ذهنية. وعلى الرغم من حتميّة حدوثها المشترك إلا أنه يمكن معالجة هذه الجوانب علميا بشكل منفصل.

تفترض دراسة التّرجمة كعمليّة اتصال معالجة المتغيرات السياقيّة لمجالين اجتماعيين ثقافيين مختلفين (الخاصين بالنص الأصلي والنص الهدف) مع التّركيز على المتلقي وغاياته وأفكاره. ويركز المنظور النصي من جهة أخرى على المميزات البنيويّة والوظيفيّة للنصين الأصلي والهدف اللذان يشكلان الطرفين الخاصين بكل فعل ترجمي، مع تسليط الضوء على نقل المعنى بدلا من التّشفير اللغوي (كاتفورد، 1965. هاوس، 1977). يهتم هذا المنظور بالجوانب الثقافيّة والشخصيّة والنصيّة للترجمة. وعلى عكس ذلك، فإن دراسة ماهيّة التّرجمة كعمليّة ذهنيّة تقترح نظرة ذاتيّة باطنيّة تميل لوصف بنيّة وعمل نظام المعالجة الباطني للمترجم أو التّرجمان كفرد مميز. وتعكس هذه الدراسة ما يسمى التّوجه المعرفي في علم التّرجمة.

يعود التّنظير الذهني فيما يخص التّرجمة للستينيات، ومنذ ذلك الحين تعزز التّوجه المعرفي في علم التّرجمة بناء على اقتراحات نظريّة متنوعة. ومن بين النظريات المعرفيّة نجد النموذج التّأويلي

لسيليسكوفيتش ولوديرور، والنموذج اللغوي النفسي لبيل، والنموذج اللغوي النفسي لكيرالي ونموذج المجهود لجيل والنموذج السلوكي المعرفي لويلس[2].

كما يجدر بنا الإشارة إلى دراسات عديدة لم تصل لاقتراح نموذج خاص بها كدور الآليات التّلقائيّة للطلبة والمهنيين (تيركونان و كونديت 1990) وآليات الفهم (كوسمول 1997) واتخاذ القرارات في التّرجمة العكسيّة (لورينزو 1999) وتأثير السياق الدلالي في إعادة الصياغة بين اللغات (شوا 2005) والتّفعيل المتزامن لتصورات اللغة الأصليّة واللغة الهدف خلال مرحلة الفهم (رويس و آل 2008) و التّفاعل بين الذاكرة ومتغيرات لغويّة متنوعة في التّرجمة الفوريّة (كريستوفيل وآل 2003) والاختلافات بين التّرجمة المباشرة والتّرجمة العكسيّة (بافلوفيك وجونسون 2009).

تستعمل الدراسات التّي أشرنا إليها تقنيات متنوعة لجمع المعطيات، بدءا بالاستبيانات مرورا ببروتوكولات التّفكير بصوت مرتفع واختبارات نفسيّة متعددة. وبفضلها استطاع التّوجه المعرفي الوصول لبعض النتائج العامة التّي كان لها قبول واسع. كما استنتج أن التّرجمة تتشارك مميزات عديدة مع بقيّة النشاطات الخاصة بمعالجة المعلومة عند الإنسان (كتدخل الذاكرة واستعمال عمليات استنتاجيه بارزة...). وإذا قمنا بسؤال الباحثين المذكورين آنفا عن أي جزء في الجسم تحدث فيه العمليات التّي يدرسونها فلن يتردد أي منهم في الإجابة بالدماغ. لكن تناول الأنسجة العصبيّة بالدراسة في التّوجه المعرفي (وامتداد لعلم التّرجمة في مجمله) كان أمرا مهمشا وسطحيا، مثلا تؤكد

أن الرصيد المعرفي هو مجموع المحتويات في الدماغ **La traduction aujourd'hui** كتابها لوديرور في بصيغة لفظية، لكننا لا نجد في كتابها ولو انعكاسا واحدا يظهر القاعدة العصبيّة لهذه البنية[3].

ومن جهتها تؤكد أورتادو ألبير(2005) في كتابها:

Traducción y traductología introducción a la traductología

أن دراسة العمليات الدماغيّة هي إحدى مصادر المعطيات لفهم التّرجمة كعمليّة ذهنية، لكن مؤلفها لا يستغني فقط على النتائج العصبيّة بل يفتقر أيضا للمراجع البيبليوغرافيّة الخاصة بدراسات حول الجوانب الدماغيّة البارزة.

يجدر بنا الذكر أنه رغم قلة الأعمال المخصصة للجوانب العصبيّة للترجمة إلا أن هناك بعض المقالات التّي نشرها بوتون وباراديس 1984 في العدد التّاسع والعشرين لمجلة ميتا **Cerveau, langage et** تحت عنوان " بالإضافة إلى بعض الدراسات التّجريبيّة التّي أجراها متخصصون في التّرجمة وكذا علماء **traduction** أعصاب.

2- توضيحات مفاهيميّة ومصطلحيّة: يمكن تحديد الفرق بسهولة، ضمن التّوجه المعرفي، بين نماذج التّقييد والنماذج البنيويّة (جيل، 1999)، فالأولى هي تخطيط نظري للظروف المؤثرة على وظيفة المترجم/ التّرجمان وليست تخطيط للهيكل أو البنيّة الذهنيّة أو حتى غموض المعلومة الموجودة بهذا الموضع (العقل). وضمن هذه النماذج تبرز نماذج الجهود لجيل التّي تقدم شروحا وتوقعات لأداء المترجم بناء على فرضيات بنيوية. على عكس ذلك، تعتبر النماذج البنيويّة تخطيطا للمكونات أو الأنظمة الذهنيّة التّي تتدخل في شرح غموض المعلومة خلال عمليّة التّرجمة. وتبدو هذه النماذج وصفيّة قبل أن تكون شرحيه أو تنبؤيّة لكونها تقتصر على تدوين ووصف كيفيّة تشكيل وعمل ذهن المترجم أو جزء منه.

وقبل أن نواصل توضيحاتنا يجدر بنا تقديم بعض التّوضيحات المصطلحية. بدايّة لابد أن نوضح أن استعمال مصطلح ترجمة في مقالنا هذا يشمل إعادة الصياغة بين اللغات لنصوص مكتوبة وإعادة الصياغة بين اللغات لنصوص شفهيّة على حد سواء. ورغم أن هاذين النوعين للترجمة يستدعيان استعمال عمليات معرفيّة مختلفة إلا أن الملاحظات التّي سنتطرق إليها تنطبق على كلا النوعين.

ثم ليس من غير الطبيعي أن نذكّر أن مقالنا هذا يتمحور حول التّرجمة كعمليّة تتم بين اللغات، وعليه فلن نتطرق لعناصر أو ظواهر ضمن اللغة نفسها أو حتى بين السيميائيات، لكن هذا لا يمنع بأي شكل من الأشكال أن تقتصر التّرجمة على الملامح الشكليّة للغات معينة. ومن بين الأفكار المغلوطة في تاريخ علم التّرجمة هو بقاء مصطلح " لغوي" مشبعا بدلالات محدودة. ويبدو أن مجرد الإشارة لهذا المصطلح في مداخلات علم التّرجمة يقود الكثيرين للتفكير في النظريات الشكلية، كالأسلوبيّة المقارنة ليفنيه وداربلنت (1958) أو اقتراحات جاكوبسون (2000[1959]) والإسهامات البنويّة كاتفورد (1965). والحقيقة أن هذه النماذج هي أمثلة حقيقيّة للجانب اللغوي في هذا المجال، حيث أنها لا تتطرق للعناصر الثقافيّة والسياقيّة والفكرية، لكننا لا يمكن أن ننفي أن اعتبار التّرجمة كعمليّة ذهنيّة بين اللغات يتجاهل أهميّة تلك العناصر. وعلى العكس، فإن إدراكنا الحالي للأنظمة اللغويّة على المستوى العصبي المعرفي يقودنا للاعتراف أن بنيتها محددة من خلال الثقافة ووظيفتها مرتبطة بالسياق.

3- النماذج البنيويّة المعنويّة للنّظام التّرجميّ: إن التّرجمة التّحريريّة والتّرجمة الفوريّة هما عمليتان ذهنيتان، ولا يمكن اعتبارهما عمليتان بسيطتان. حيث يستدعي فعل التّرجمة سلسلة من الكفاءات المعرفيّة المتنوعة والمعقدة، كما أن التّرجمة الفوريّة لنص ما في زمن معين ليس بالأمر الهين. ويؤكد كل من فراونفيلدر و شرايفر(1997) أن التّرجمة الفوريّة هي إحدى أهم عمليات معالجة المعلومات وأكثرها تعقيدا على الإطلاق. ويعتبر تعقيد هذه العمليّة أحد الأسباب المؤديّة لصعوبة البحث في عمليّة التّرجمة. هناك أيضا مشاكل منهجيّة منها الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الكثيرة، فمراقبتها وعزلها يشكلان صعوبة كبيرة، كما أن تكرار الظروف السياقيّة التّي يؤدي فيها المترجم وظيفته من خلال رسم تخطيطي يعتبر أمرا شبه مستحيل. أما فيما يخص المشاكل ذات طبيعة الرصد والملاحظة فنجد مثلا أنه

لا يمكن ملاحظة التّصورات الموجودة بالنظام المعرفي مباشرة، الأمر الذي يفسر إلى حد ما التّعبير المجازي الذي يشبّه العقل بصندوق أسود.

زد على ذلك، تعتبر الدراسات العلميّة حول عمليّة التّرجمة حديثة ومقارنة بالدراسات التّي تهتم بالنماذج المعرفيّة فهي ليست كثيرة على الإطلاق. وعليه يؤكد مويا (2004) أن فكرة "عمليّة التّرجمة" قد ظهرت في علم التّرجمة خلال الستينات على يد إيوجن نيدا. لكن يشير منتقدو نيدا أن اعتماده النموذج التّوليدي أدى إلى الكثير من الأخطاء والإهمال والتّأويلات الخاطئة في نموذجه كما أن عمله يخدم التّبشير الكاثوليكي أكثر من المجال العلمي. ورغم كل الانتقادات التّي وجهت لنيدا إلا أن علم التّرجمة مدين له لفتحه الباب للدراسة العلميّة لعمليّة التّرجمة. وتفترض دراسة هذه العمليّة وضع التّرجمة في مخطط ضمني شخصي للوصول للنشاط الذهني والسلوك التّرجمي لأفراد مميزين. يتعلق الأمر بالتّأكيد بوجهة نظر ليست بعيدة المنال كما يؤكد هولمس في قوله (هولمس، 1988: 54):

En la busqueda de contrapartes o correspondancias el traductor se enfrenta constantemente con elecciones, elecciones que solo puede hacer en virtud de su comprensión individual (conocimientos, sensibilidad, expriencia ....) de las dos lenguas y culturas en juego y con ayuda de sus gustos y preferencias personales.

عند البحث عن المقابلات أو المكافئات، يواجه المترجم باستمرار خيارات وهي خيارات لا يستطيع القيام بها إلا بفهمه الفردي (المعرفة والتّحسيس والخبرة ...) للغتين والثقافتين المعنيتين وبمساعدة من ميوله وتفضيلاته الشخصية. (ترجمتنا)

مدركين لهذه الحقيقة البديهيّة شرع العديد من الباحثين في دراسة النشاط الذهني للمترجم وكان هدفهم الوحيد هو الكشف عن القواعد المعرفيّة والسلوكيّة التّي تسمح بوصف عمليّة إعادة الصياغة بين اللغات والنظام المشرف على ذلك. ويسلط كل نموذج بنيوي الضوء في علم التّرجمة المعرفي على بعض جوانب هذا النظام كما أنه يتجاهل جوانب أخرى. بمعنى آخر، تفتقر النماذج البنيويّة في علم التّرجمة المعرفي للأسس العصبيّة وعليه فهي لا تبحث عن التّوافق مع النتائج التّي تم التّوصل إليها في علم الأعصاب. وهذا أمر لا يفاجئنا لأنه ليس من الضروري أن تعتمد نظريّة معرفيّة على نظريّة عصبية.

4ـ ثلاثة نماذج ثلاثيّة الأطوار: هناك ثلاثة نماذج بنيويّة واسعة الانتشار في علم التّرجمة وهي: نموذج النقل لنيدا وتابر والنموذج اللغوي النفسي لبيل والنموذج التّأويلي لسيليسكوفيتش ولوديرور. يجدر بنا الذكر أن هذه النماذج تتناول بالدراسة عمليّة التّرجمة قبل التّطرق لذهن المترجم في مجمله، لكنها تضم موازنات بنيويّة لابد من مراجعتها. وفيما يأتي نعرض هذه النماذج بالتّفصيل.

ـ نموذج النقل لنيدا وتابر: كان نيدا كما ذكرنا آنفا أول من تناول قضيّة عمليّة التّرجمة بالدراسة، وارتكز نموذجه على الاقتراحات التّوليديّة الأولية. ويشار أيضا أن أفكاره كانت تتمحور حول ترجمة الإنجيل وكان لها تأثير بارز.

انطلق نيدا من رصد الفرق بين البنيّة العميقة والبنيّة السطحيّة الخاصة بالنظريّة القياسيّة (تشومسكي 1965). ففي النموذج المبدئي اقترح تشومسكي أن توليد حملة ما يفترض الآتي: أولا تطبيق قواعد بنيويّة للجملة تنتج عنها بنيّة عميقة، ثم تطبيق قواعد تحويليّة تغير بنيّة الجملة السابقة وأخيرا يتم اشتقاق بنيّة سطحيّة ترتكز عليها قواعد مورفولوجيّة وصوتيّة أخرى. وبناء على هذه الافتراضات اقترح نيدا وتابر النموذج الآتي:

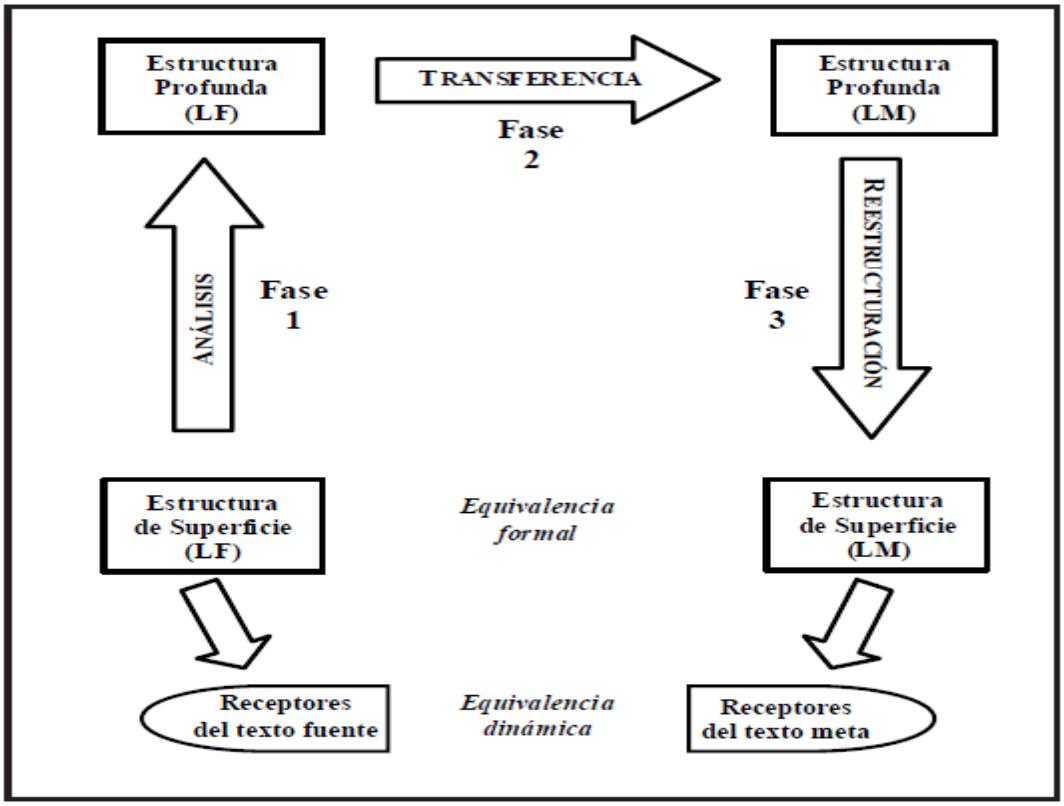

Figura 2.1. *El Modelo de Tránsito, de Nida y Taber.*

الشكل 1: نموذج النقل لنيدا وتابر(1964 : 36)

يفترض نموذج النقل أن عمليّة التّرجمة تشمل ثلاثة مراحل: التّحليل والنقل وإعادة الصياغة. يواجه المترجم في مرحلة التّحليل النص الأصلي الذي يحتوي على جمل ذات بنيّة سطحية، ومن خلال تطبيق تقنيات متنوعة (مثلا التّحويل والتّحليل التّركيبي) يستنبط البنى العميقة المكافئة. ويفترض هذا التّحليل تمييز البنيّة الدلاليّة الخاصة بمكونات البنيّة السطحيّة في سياق معين. وحسب نيدا فإن كل عنصر معجمي يعبر عن مفاهيم لغوية، مرجعيّة وعاطفيّة والتّي يمكن أن تتغير وفق الثقافة المتلقية.

تشكل البنى العميقة الناتجة جملا وهي جمل أساسيّة بعيدة عن أي تعقيد هيكلي (بنيوي) لكنها مزودة بكل المعلومات النحويّة والدلاليّة التّي تحدد المعنى الأساسي للبنيّة السطحيّة المقابلة. ويتمثل اقتراح نيدا في تقليص البنى السطحية، ضمن الأنواع الأربعة للأصناف الوظيفيّة التّي يعترف بها النحو التّوليدي التّحويلي، إلى مستوى أولي أي: الأحداث (المعبر عنها بأفعال)، الأشياء (المعبر عنها بأسماء)، التّلخيص (المعبر عنه بصفات) والروابط (من بينها علامات الأجناس وحروف الجر والعطف).

ويفترض في مرحلة النقل أن تضم البنيّة العميقة عناصر عامة يمكن نقلها دون فقد أي تفصيل منها. وحسب نيدا وتابر فإن اللغات المختلفة في العالم" تظهر تشابهات كثيرة في المستوى الأولي وليس في المستوى المقابل للبنى الأكثر تعقيدا وإعدادا" وعلى أي حال لكي يكون النقل فعالا قدر الإمكان، يجب على المترجم أن يخضع الجمل في لغة المصدر لعدد من التّعديلات التّي تسمح بالتّغلب على الاختلافات البنيويّة للغات في جميع طبقاتها الهرمية.

يميز نيدا بين ثلاث مراحل للنقل: أ- النقل الحرفي (التّرجمة كلمة بكلمة دون التّطرق للجانب النحوي للغة الهدف)، ب ـ النقل الأدنى (يشبه النقل الحرفي لكنه يأخذ بعين الاعتبار الجانب النحوي للغة الهدف)، ج. النقل الأدبي (وهي المرحلة الأكثر تحليلا في النقل وهي لا تكتفي بنقل العناصر الأساسيّة والأخذ بعين الاعتبار الجانب النحوي فحسب بل تعمل أيضا على اختيار أنماط التّعبير الراقي).

وأخيرا، تخضع البنى العميقة في مرحلة إعادة البناء لعدد من التّغيرات التّي ينتج عنها بنى سطحيّة جديدة في اللغة الهدف. وتتلاءم البنى السطحيّة الجديدة مع الشروط الجماليّة والثقافيّة للغة الهدف لكنها تحتفظ بالخصوصيات الأساسيّة للغة الأصلية. وبمجرد الوصول لهذه المرحلة يمكن لعمليّة التّرجمة أن تسفر عن نوعين من التّكافؤ بين النصين الأصلي والهدف أو بين أجزاء معينة منها. فهناك التّكافؤ الشكلي المتمثل في تركيز عمليّة التّرجمة على الجوانب البنويّة والبنى السطحيّة في النص الأصلي، وحسب نيدا (1964:159):

La equivalencia formal concentra la atención en el mensaje propiamente dicho, tanto en su forma como en su contenido...la preocupación del traductor es que el mensaje en la lengua meta reproduzca con la mayor exactitud posible los elementos de la lengua fuente.

يركز التّكافؤ الشكلي على الرسالة نفسها، سواء في شكلها أو محتواها وينحصر انشغال المترجم في محاولة إنتاج نص في اللغة الهدف ينقل بدقة كل العناصر في اللغة الأصلية. (ترجمتنا).

وعلى عكس ذلك يكون التّكافؤ الديناميكي إذا نقلت الرسالة الأصليّة إلى اللغة المستهدفة بطريقة تجعل استجابة متلقي التّرجمة مماثلة تقريبا لتلك التّي يثيرها النص الأصلي في المتلقيين الأصليين. يشير نيدا أن جميع قراء الكتاب المقدس يستجيبون بشكل مماثل للمقترحات التّي تشكل الرسالة الإلهية. ولهذا فهو يؤكد

أنـه لابـد أن يحظـى التّكـافؤ الـديناميكي بالأولويّـة دائمـا. ويفضـل نيـدا "تلـك التّرجمـات التّـي تركـز علـى المحتوى المعرفي في حالات معينة وتعطي الأولويّة للاستجابة العاطفيّة في حـالات أخـرى والتّـي يمكـن اعتبارها مسيرة من خلال التّكافؤ الديناميكي."

نلاحظ من خلال هذا القول أن نموذج النقل يتمركز بين البعد الاجتماعي اللغوي والبعد المعرفي. ومن جهة أخرى، تصنف أورتادو ألبير هذا النموذج ضمن التّوجـه الاتصـالي والاجتمـاعي الثقـافي. ويبـدو هـذا التّصنيف دقيقا على ضوء إشارات نيدا المستمرة للمتغيرات البراغماتيّة المختلفة مثل دور المتلقي وأثر السياق الثقافي علـى المعنـى وأهميّـة الوظيفـة الاتصـاليّة فـي التّرجمـة. ويشـير حـاتم (22 : 2001) هـو الآخر أن نموذج النقل" يدل على نشأة ما نسميه اليوم علم اللغة النفسي للترجمة." وتستند هذه الملاحظة على حقيقة أن نموذج نيدا وتابر متجذر في النظريّة التّوليديّة التّحويليّة التّـي تعتبر حجر الأساس للثورة المعرفيّة في علم اللغة.

تعـرض هـذا النمـوذج للعديـد مـن الانتقـادات نـذكر منهـا أولا أن نيـدا قـد بسـط أو أسـاء تفسـير نظريّـة تشومسكي، وأوضح مثال على ذلك هو الإغفال التّام لقواعد بنـى الجمل التّـي تولـد وتندرج ضـمن البنـى العميقـة. كمـا يمكـن ملاحظـة انتمائـه النظـري المتنـاقض لأنـه يـزعم أن نموذجـه يرتكـز علـى القضـايا الاجتماعيّـة الثقافيـة، لكـن نظريّـة تشومسكي باعتبارهـا نظريّـة للكفـاءة اللغويّـة فهـي تسـتبعد بوضـوح أي اعتبار ثقافي أو براغماتي لموضوع بحثها. ثانيا، يقع هذا النموذج فريسة للمغالطة المتعمدة بمعنـى أن مـا يقولـه النـص الأصـلي صـراحة فـي نظـر قـارئ معين قـد يتـزامن أو يتوافـق مـع مـا أراد المؤلـف إيصـاله. وبالإضـافة إلـى ذلـك يفتـرض مفهـوم التّكـافؤ الـديناميكي أنـه يمكـن فـي بعـض الحـالات قيـاس ومقارنـة استجابات وتأويلات متلقو النص المصدر ومتلقو النص الهدف من أجل تحديد تشابهها. وأخيرا، فإن أهم انتقاد في سياق هذا المقال هو أن اقتراح نيدا لا يشكل نموذجا لعمليّة التّرجمة ولكنه ببساطة يميز بعض عمليات التّرجمة العامة دون ربطها بعمل العمليات الذهنيّة (أورتادو ألبير،2001). كما أن نظريّة تشومسكي على الرغم من ادعاءاتها الإدراكيّة فهي تقوم فقط بتنظيم الأوصاف البنيويّة للإنتاج اللغوي دون القدرة على تمييز النظام المعرفي المسئول عن هذا الإنتاج اللغوي. وعليه فغن العمليات التّي يصفها نموذج النقل هي عمليات وصفيّة تحليليّة وليست عمليات معرفيّة بأتم المعنى.

على الرغم من هذه الانتقادات، فإن التّمييز بين المراحل المختلفة لعمليّة التّرجمة ما هو إلا مقدمة نظريّة اعتمدتها نماذج لاحقة.

ـ النموذج اللغوي النفسي لبيل: يستند بيل هو الآخر على علم اللسانيات حتى يبلور نظام وعمليّة التّرجمة. وهو يعرف التّرجمة (1991 : 17) " كعمليّة يتم من خلالها تحويل نص أنشأ في لغة ما إلى نص آخر يكافئه في لغة أخرى مع الحفاظ قدر الإمكان على الرسالة التّي يحملها والملامح الشكليّة والدور الوظيفي للنص الأصلي". وبناء على هذا التّعريف الذي قدمه بيل نجد أن هذا الأخير يرى أنه لابد للمتخصصين في

التّرجمة من الرجوع للسانيات حتى يتمكنوا من وصف عمليّة التّرجمة. بمعنى أدق، يشرح لنا بيل أنه يشير في تعريفه إلى فروع اللسانيات التّي تهتم بالجوانب الاجتماعيّة لاستعمال اللغة، والتّي تضع النصين الأصلي والهدف ضمن السياق الثقافي الذي ينتميان إليه. ويسمح لنا هذا الموقف بأخذ فكرة عن الانتماءات النظاميّة الوظيفيّة للباحث.

يرى بيل عموما أن عمليّة الاتصال (المكتوبة) وكذا التّرجمة يفترضان امتلاك نوعين من المعرفة الفاعلة: معرفة القراءة ومعرفة الكتابة. ويضيف أن العمليات المشاركة في القراءة والكتابة ما هي إلا صور طبق الأصل لبعضها البعض. وعليه يرى بيل أن المكونات المستعملة في وصف عمليّة القراءة وشرحها هي نفسها بالنسبة لعمليّة الكتابة.

يضم النموذج العام لمعالجة النصوص عند بيل خمس مراحل والتّي يعتمدها بالنسبة للقراءة والكتابة على حد سواء، ونعرض هذه المراحل في الشكل الآتي:

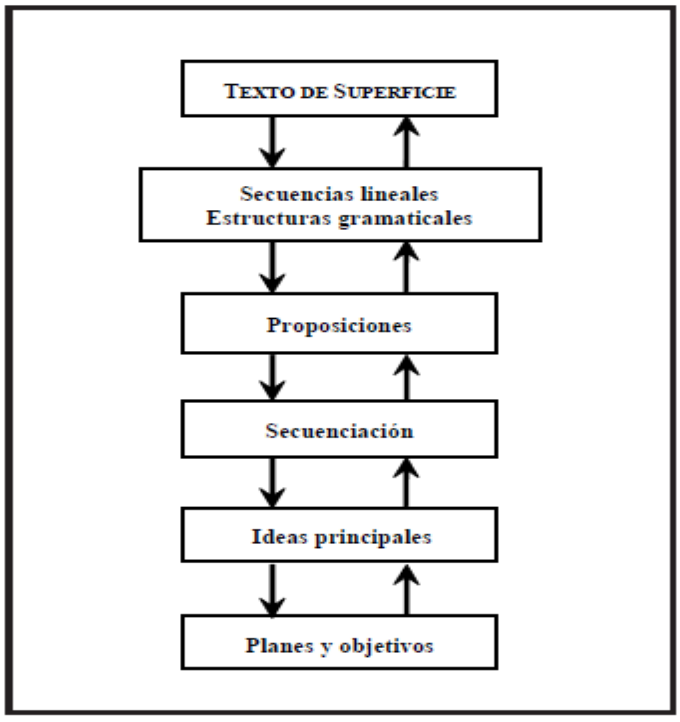

Figura 2.2. *El modelo general de procesamiento de textos de Bell (1991: 214.*

الشكل 2: النموذج العام لمعالجة النصوص لبيل (1991: 214)

تحتاج عمليّة القراءة حسب بيل للمراحل نفسها بالنسبة لعمليّة الكتابة لكن بترتيب عكسي. حيث يتم البدء بالتّحليل النحوي والمعجمي ثم الوصول لمرحلة استرجاع المفاهيم وبعد ذلك مرحلة التّبسيط ثم استرجاع الأفكار وأخيرا مرحلة استرجاع مخطط المرسل.

ينطلق بيل من هذا النموذج العام ليصف عمليّة التّرجمة ويرتكز نموذجه على وصف كفاءات المترجم ومميزات التّرجمة كعمليّة ذهنية. ويشرح فيما يخص الكفاءات التّرجميّة أنه لابد أن يملك المترجم كفاءة لغويّة في اللغتين معا وكفاءة اتصاليّة في الثقافتين معا. ويعرف الكفاءة التّرجميّة " بالمعارف والأهليات التّي يجب أن يملكها المترجم حتى ينجز التّرجمة " (بيل،1991: 43. ترجمتنا). ويميز أربع مكونات للكفاءة التّرجميّة وهي: الكفاءة النحوية، الكفاءة الاجتماعيّة اللغوية، الكفاءة الخطابية، الكفاءة الاستراتيجية. أما فيما يخص مميزات التّرجمة كعمليّة ذهنيّة فإن بيل يعرضها كالآتي: هي حالة خاصة للمعالجة البشريّة للمعلومات، تقتضي استعمال الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى على حد سواء مع استعمال آليات لتشفير النص في اللغة الأصليّة وإعادة تشفيره في اللغة الهدف من خلال تصوير دلالي غير لفظي مستقل عن أي لغة، يعمل كل من تحليل الإشارات الداخلة وتركيب الإشارات الخارجة على مستوى شرطي يعتبره بيل وحدة التّرجمة. وبناء على هذه النقاط يعرض بيل نموذجه كالآتي:

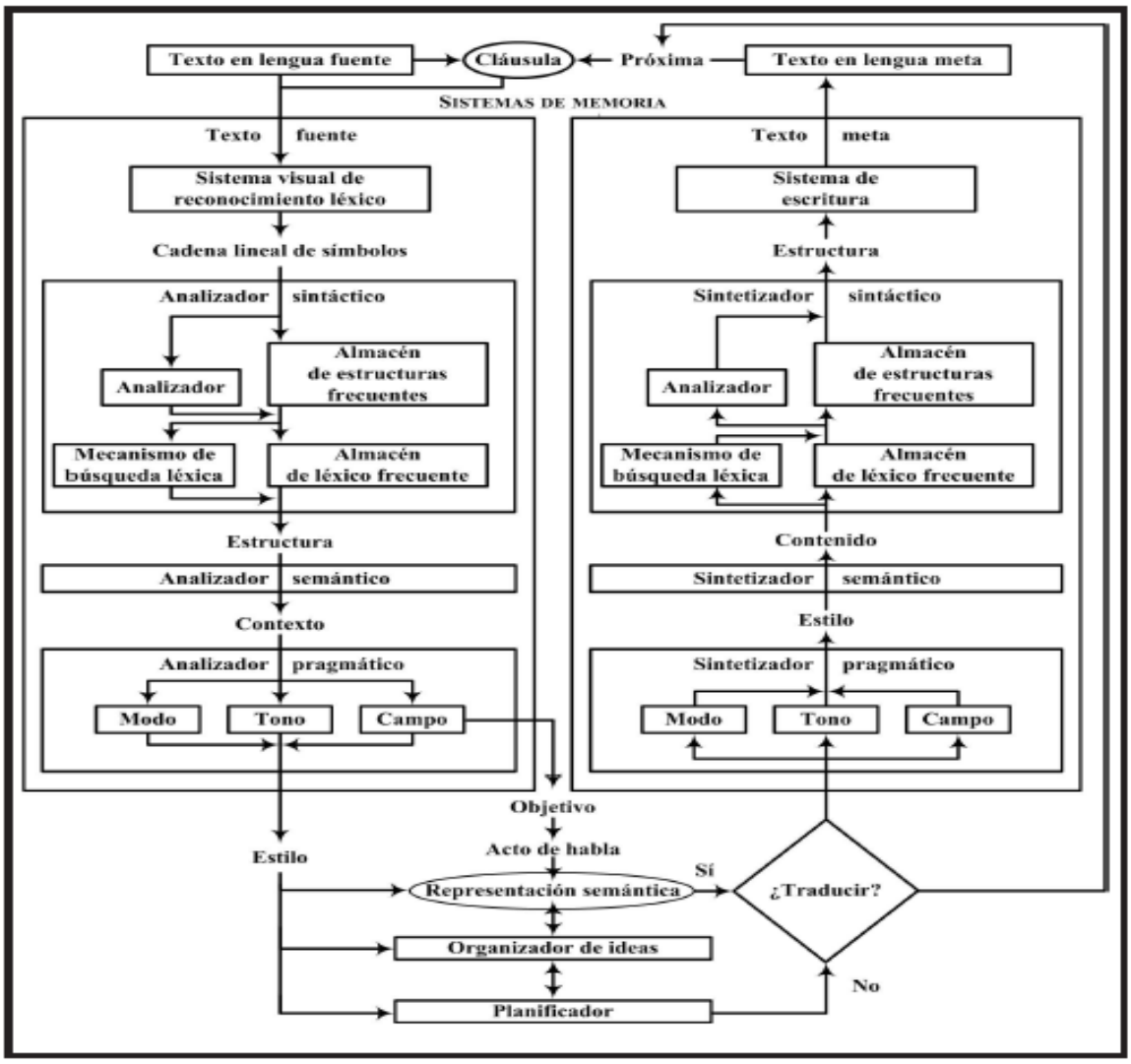

Figura 2.3. *El modelo psicolingüístico de Bell (1991: 59.*

الشكل 3: النّموذج اللغويّ النّفسيّ لبيل (59 : 1991)

يقترح النموذج أن النظام التّرجمي يضم المكونات الآتية: 1. نظام التّعرف البصري على الكلمات ونظام الكتابة، ويفعّلها المترجم في اللغتين المصدر والهدف على التّوالي،2. معالج نحوي لكل لغة يحتوي على عنصر محلل ومخزن البنى المألوفة وآليّة البحث المعجمي ومخزن الألفاظ المألوفة،3. معالج دلالي لكل لغة،4. معالج براغماتي لكل لغة،5. منظم الأفكار،6. المخطط الذي يهتم بتنظيم مخططات من أجل تحقيق أهداف اتصاليّة متنوعة.

يميز النموذج مرحلتين أساسيتين: مرحلة تحليل النص الأصلي ومرحلة تركيب النص الهدف وتتخللهما مرحلة التّصوير الدلالي المستقلة عن اللغات التّي يستعملها المترجم. وتشمل مرحلتي التّحليل والتّركيب ثلاث مستويات براغماتية: مستوى نحوي، مستوى دلالي، مستوى براغماتي.

لقد حظي النموذج اللغوي النفسي ليبل باهتمام كبير في علم التّرجمة. ورغم حصوله على العديد من الجوائز إلا أنه لم يسلم من الانتقادات. حيث ترى أورتادو ألبير (2001) أن تعريف بيل للكفاءة التّرجميّة لا يختلف عن تعريف كفاءة ثنائيّة اللغة، كما تقدم نقدا للنموذج نفسه. وحسب قولها فإن نموذج بيل غير جدير بالاهتمام لأسباب عديدة منها الاعتبار المحدود للجملة كوحدة ترجمة والافتقار للنظرة الشاملة للنص وكذا اعتبار المترجم كقارئ أحادي اللغة عادي دون الأخذ بعين الاعتبار أن قراءته مشروطة بترجمة نص والشروط التّي تتطلبها هذه التّرجمة.

على الرغم من الانتقادات التّي وجهت لنموذج بيل إلا أنه نجح في وصف عمليّة التّرجمة من خلال مفاهيم نفسيّة ولغويّة ومن منظور منهجي. ويستخدم هذا النموذج، خلافا لنموذج نيدا وتابر، إطارا نظريا معرفيا، ويظهر ذلك على سبيل المثال من خلال افتراض أنظمة ذهنيّة مختلفة لكنها مرتبطة فيما بينها.

ـ النموذج التّأويلي لسيليسكوفيتش ولوديرور:

يعد النموذج التّأويلي والمعروف أيضا بنظريّة المعنى من أولى النماذج التّي قدمت إطارا منهجيا مستقلا على عكس مناهج أخرى استندت على نظريات سبقتها (كمنهج نيدا المستوحى من النحو التّوليدي ونموذج بيل الذي يرتكز على اللسانيات التّنظيميّة الوظيفية). كما كان هذا النموذج السباق في وصف عمليّة التّرجمة بمفاهيم معرفيّة بحتة.زد على ذلك فإن النموذج التّأويلي هو بمثابة الدفعة الأولى لدراسات التّرجمة الفوريّة مفرع خاص في علم التّرجمة.

اقترحت دانيكا سيليسكوفيتش النموذج التّأويلي في أواخر الستينات وطورته فيما بعد لوديرور إلى جانبها. وقد اهتمت سيليسكوفيتش بتطوير نموذج نظري ينطبق على تكوين تراجمة المحاضرات، وتحول النموذج الذي اقترحته إلى نظريّة يعتمدها الكثير من المتخصصين في التّرجمة في ظرف عقدين من

الـزمن. ونعـرض فيمـا يلـي مخطـط للنمـوذج التّـأويلي مسـتوحى مـن كتـاب أومبـارو أورتـادو ألبير(1990 : 71):

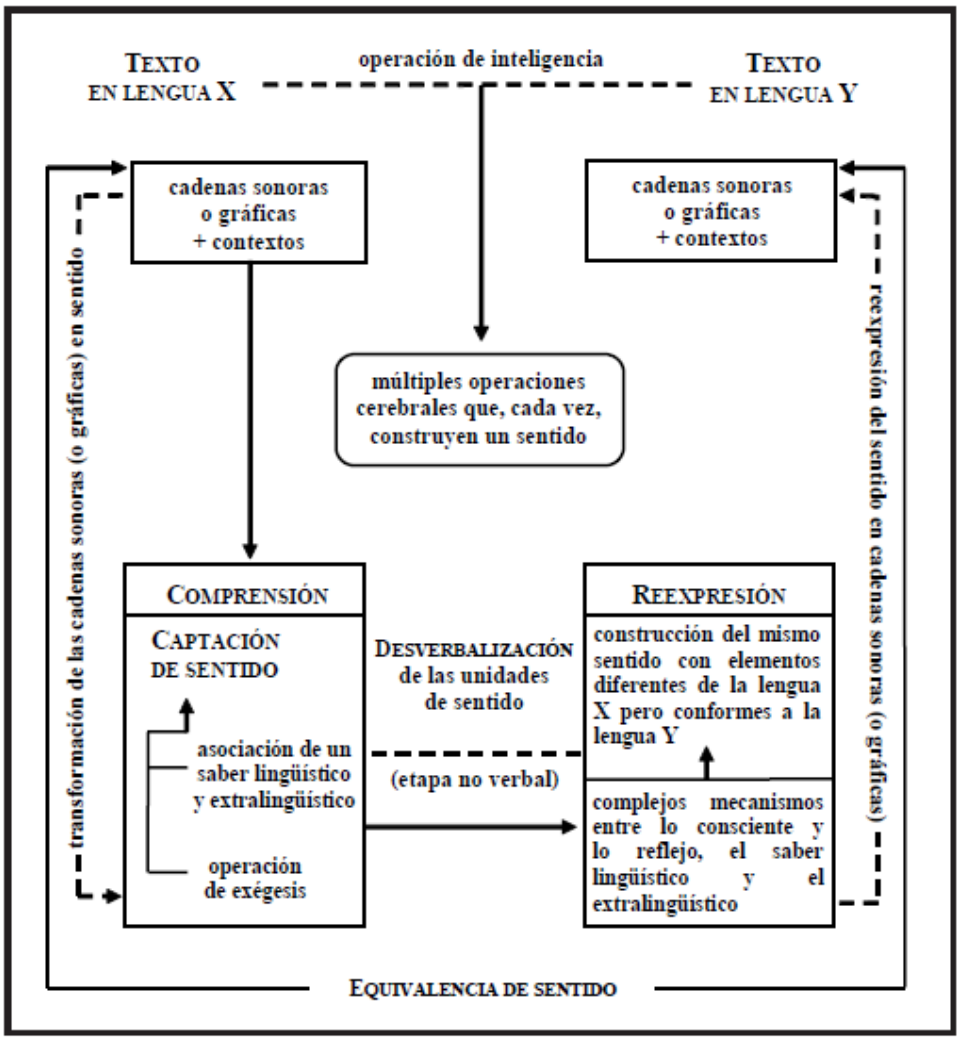

El Modelo Interpretativo (adaptado de Hurtado Albir, 1990: 71).

الشكل 4: النموذج التّأويلي (1990 : 71)

يرى النموذج التّأويلي أن عمليّة التّرجمة تتم من خلال ثلاث مراحل: 1ـ الفهم، 2ـ الانسلاخ اللغوي، 3ـ إعادة الصياغة. وحسب لوديرور فإن التّرجمة لا تختلف كثيرا عن إنتاج نص أحادي اللغة، ويظهر ذلك من خلال ما جاء على لسانها(1994 : 46) حيث تقر أن المترجم لا يعيد فقط ما جاء في النص الأصلي بل يصيغه بطريقة تترك الأثر نفسه لدى متلقي التّرجمة ومتلقي النص الأصلي وعليه فإن وظيفة المترجم لا تختلف كثيرا عن وظيفة الكاتب الأصلي.

إن المرحلة الأولى في النموذج التّأويلي هي الفهم أي انتقاء المعنى، ولا تتمحور هذه المرحلة على تشفير الوحدات اللغويّة للنص الأصلي فقط بل تفترض تفاعل دلالاتها مع المكملات المعرفيّة للفرد، والتّي تضم الرصيد المعرفي والسياق المعرفي حيث يتوافق الرصيد المعرفي مع الذاكرة طويلة المدى في حين يرتبط السياق المعرفي بذاكرة العمل.

أما المرحلة الثانيّة فهي الانسلاخ اللغوي وهي نتيجة للمرحلة الأولى وسابقة لمرحلة إعادة الصياغة. وكما تشير نظريّة المعنى فإن المعنى ذات طبيعة غير لفظيّة ويتجاوز بكثير الطبيعة الدلاليّة لتفسير الخطاب. وعليه فإن المعنى يظهر عند الانسلاخ اللغوي لكل سلسلة صوتيّة أو مكتوبة والتّي تشكل دافع للترجمة. ويتعلق الأمر حسب الباحثتان بحالة وعي للانتقال من لغة إلى أخرى. ويشكل الانسلاخ اللغوي جزءا من القدرة المعرفيّة العامة.

أخيرا نصل لآخر خطوة في هذا النموذج وهي إعادة الصياغة بمعنى إنشاء تكافؤات. ويجب على المترجم في هذه المرحلة أن ينتبه إلى مشكل تداخل اللغتين المترجم إليها والمترجم منها، ويسعى إلى التّعبير بحريّة متفاديا إدخال تراكيب اللغة الأصليّة في النص المترجم.

5- إسهامات أخرى للعلوم المعرفيّة: بناء على النماذج الحديثة في علم النفس، يؤكد الاتجاه التّجريبي أن النماذج الذهنيّة تنتج عن تجربة الفرد في محيطه. وفي هذا الصدد فإن العقل يعمل بالتّعاون مع إعدادات المعاني المشروطة بالتّجربة في الوسط الذي يتواجد فيه الفرد.

لطالما رفضت النظرة القديمة للترجمة كظاهرة بين اللغات في علم التّرجمة. كما أن الملاحظات التّجريبيّة الأكثر سطحيّة تسمح بالتّأكد من أن التّرجمة لا تتم بين لغتين أو ثقافتين فقط بل بين فردين أو مجموعة أفراد. وهكذا يستفيد علم التّرجمة المعرفي من الاستغناء عن المنظور بين الثقافي ليتبنى وجهة نظر تخص التّرجمة كظاهرة تتم بين الأشخاص.

الخاتمة: يتجلى لنا من خلال ما سبق العلاقة الواضحة والحديثة بين علم التّرجمة والعلوم المعرفيّة ومدى تأثير هذه الأخيرة على تغير الأفكار الخاصة بالتّرجمة وتطورها. لكن يبقى التّذكير أن جل النظريات والمقاربات المعرفيّة في التّرجمة لم تسلم من النقد ولازالتّ في طور التّقدم والبحث العلمي المثمر. كما تشكل العلوم المعرفيّة مجالا بحثيا واسعا للعمليات الأساسيّة في علم التّرجمة وهي تعد بمثابة مستقبل واعد في البحث الخاص بالتّرجمة كعمليّة ذهنيّة معقدة.

- المراجع

-HURTADO ALBIR, Amparo: Traducción y traductología introducción a la traductología , Madrid, Catedra, 2005 .

-LAMB, Sydney: senderos del cerebro: la base neurocognitiva del lenguaje (traducción de Jose Maria Gil y Adolfo. Garcia) Mar del Plata, EUDEM, 2011.

-MUÑOZ MARTIN , Ricardo : traductología cognitiva y traductología empírica , en Gerd wotjak, ed. Quo Vadis, Traduictologie? , 267-278, Berlin, 2007.

-PIAGET, Jean: la prise de conscience, Paris, Presses universitaires de France, 1974.

-SELESCOVITCH, Danica : l'interprète dans les conférences internationales, problème de langage et de communication , Paris, Minard, 1968.

-SELESCOVITCH, Danica et LEDERER , Marianne : interpréter pour traduire , Paris, Didier, 1984.

الهوامش:

(1) **Adolfo M Garcia (2012)**

(2) **Beatriz E. Cagnolati (2012)**

(3) تشير لوديرور في الحقيقة لمرجعين خاصين بأعمال نفسيّة عصبيّة لكنها اكتفت بذكرهما ولم تفصل في أفكارهما أو تبحث في أسس نظريتهما والمعطيات التّجريبيّة الخاصة بها.